حقوق الرسول ﷺ بين جهل أتباعه وكيد أعدائه

د. عبد الغني حيدر فارع
أستاذ أصول الدين المشارك
قسم القرآن الكريم وعلومه
كلية التربية – جامعة صنعاء
عنوان المراسلة: dr.ahaidar@hotmail.com

الملخص:

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء/107]، أما بعد : فإن

في هذه الأيام نلاحظ ظاهرة الجهل بحقوق النبي – صلى الله عليه وسلم – لانصراف بعض المسلمين عن دراستها من مصادرها، مما يحتم على وسائل الإعلام الإسلامية المختلفة الاهتمام بذلك وتربية الناس عليها. ، وهو ما هدفت إليه بأن :

أسهم بما يتيسر من الله عز وجل في التعريف بحقوق المصطفى وأن أدلي بدلوي في ذلك، وأن يكون عنوان البحث هو(حقوق النبي ـ ﷺ ـ بين جهل أبنائه وكيد أعدائه)، وقد بينت أن من أسباب الجهل: الجهل بالنصوص المنبهة على حقوقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أو بمنزلتها في الإسلام، أو بدلالات ألفاظها ، وأنّ من يجهل تلك الحقوق واقع بين أحد أمرين: إما الجفاء في حقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهجر أمره وسنته، أو الغلو في حقه بما لم ينزل به الله سلطاناً، وكلا الأمرين مذموم غير موافق للشرع الحنيف. كما أوضحنا في ضوء البحث أن حقوق النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أمته كثيرة، من أهمها: الإيمان به، وتصديقه، وطاعته، وتوقيره، ونصرته، والدفاع عنه، ومحبته، واتباعه، والاقتداء به، والتحاكم إليه، والرضا بحكمه، والصلاة عليه ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما عن الصراع بين الحق والباطل فقد تقرر باليقين بأنه مستمر إلى أن

يرث الله الأرض ومن عليها، وجهود أهل الباطل متكررة في القديم والحديث للنيل من النبي - ﷺ - في حياته وبعد مماته - ﷺ - وذلك من خلال ما يكيدونه للنبي - عليه الصلاة والسلام - ولسنته، ومحاربتهم الإسلام؛ بغية القضاء عليه، والقضاء على عناصر قوة المسلمين، وتعصباً لدينهم، واغتراراً بما عندهم من الباطل.

وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

The rights of the Messenger (PBUH) between his followers' ignorance and his enemies' conspiracy

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the worlds who says "And We have not sent you, [O Muhammad], except as a mercy to the worlds"

Nowadays, it is clearly noticed the ignorance phenomenon of Messenger's rights as many Muslims have been away from studying and conducting researches in regards. Thus, the duty of enlightening and cultivating people with such rights lays upon all different Islamic media.

Consequently, I implemented this research to intensify on the Prophet's rights. As a result, my research is entitled "The rights of the Messenger (PBUH) between his followers' ignorance and his enemies' conspiracy" in which I stated some of ignorance reasons including: The ignorance of Quran and Hadith statements and their godly reward that illustrate Prophet's rights. Baring in mind, those ignorant are considered to be either negligent, careless or extravagant of Prophet's rights which all are unaccepted in Islam.

I also mentioned in the research that the Prophet's rights are countless upon his nation most importantly rights are: To believe, obey, respect, defend, love, follow, imitate him; surrender, appeal to him as well as pray for him, his family and companions.

Regarding the conflict between righteousness and falseness, it was clearly seen that is as continual as life continues. And the false followers actions are anciently and currently constant to defame and distort his biography through conspiring against his Sunnah in order to try to defeat or slander him and his Sharia.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/107]، والقائل سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة/128]، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد الصادق الأمين القائل: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "[1].

أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى قد خص نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام بصفات ومناقب ومحاسن كثيرة لا تخفى على من يتتبع نصوص الكتاب أو يقرأ في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، " ومنها: ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة، والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة، والفضائل العديدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة، والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره، ورآها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا - صلى الله عليه وسلم كثيراً "[2].

ولكن الملاحظ اليوم أن كثيرا من أبناء الإسلام قد انشغلوا بأشياء كثيرة في واقعهم جعلتهم ينصرفون عن محاولة معرفة حقوق المصطفى فكثر الجهل بها، وفي المقابل نرى أعداء الإسلام يتطاولون على سيد المرسلين ﷺ في حملات شرسة على الإسلام وثوابته ومقدساته، وفي ضوء ذلك تبرز أهمية البحث خصوصاً في حياتنا

(1) صحيح: (14/1)، رقم الحديث: (15) واللفظ له، صحيح مسلم: (49/1)، رقم الحديث: (177).

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (12/1).

المعاصرة، وهو ما هدفت إليه في هذا البحث الذي سميته: (حقوق الرسول ﷺ بين جهل أتباعه وكيد أعدائه.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- الإسهام في التعريف بحقوق المصطفى ﷺ.
- بيان أسباب الجهل بحقوق الرسول ﷺ.
- تحليل مظاهر الجهل بحقوق الرسول ﷺ وآثاره.
- تشخيص أهداف كيد الأعداء في حق الرسول ﷺ وأسبابه.
- كشف مظاهر الكيد تجاه الرسول ﷺ.
- التذكير بواجب المسلمين تجاه نبيهم ﷺ.

منهج البحث:

عمد الباحث إلى الجمع بين أكثر من منهج فكان المنهج الوصفي، فالتحليل والاستقراء لتشخيص حال المسلمين وموقف غيرهم تجاه الرسول ﷺ، متبعاً الأسلوب العلمي في التوثيق والإحالات والرجوع إلى المصادر الأصيلة والمراجع الحديثة المتعلقة بالبحث غير غافل عن الواقع المعاصر.

الدراسات السابقة:

كثيرة هي المؤلفات والبحوث التي تناولت خصائص النبي ﷺ في القديم والحديث، غير أن تناول هذا الموضوع من هذه الزاوية غير موجود إن لم نقل إنه نادر جدا، والله تعالى أعلم.

خطة البحث:

قام الباحث بتقسيم بحثه إلى مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة فيها أهم نتائج البحث.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، الدراسات السابقة، وخطته.

المبحث الأول: أسباب ومظاهر جهل أتباع الرسول ﷺ بحقوقه عليهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الجهل بحقوق الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: مظاهر الجهل بحقوق الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: أهداف ومظاهر كيد الأعداء لحقوقه ﷺ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهداف الكيد.

المطلب الثاني: مظاهر الكيد.

المبحث الثالث: حقوق النبي ﷺ.

نسأل الله تبارك وتعالى السداد والتوفيق، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

أسباب ومظاهر جهل أتباع الرسول ﷺ بحقوقه عليهم

المطلب الأول: أسباب الجهل بحقوق الرسول ﷺ:

إن مما يلحظ في واقعنا المعاصر تفشي الجهل بين أتباع المصطفى ﷺ بحقوقه وواجبنا نحوه، وأسباب الجهل فيما يبدو للباحث تتمحور في الآتي:

أولاً: الجهل بالنصوص التي توجب اتباعه وطاعته:

فقد أوجب الله تعالى على الناس طاعة نبيه ﷺ وأمر بذلك في آيات كثيرة من القرآن نذكر منها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران/31]، وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء/65]، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء/69]، وقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور/54]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾[النور/62]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر/7].

فهذه النصوص من كتاب الله تعالى توجب اتباع النبي ﷺ وطاعته، وتبين أن طاعة الرسول طاعة لله تعالى؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهذه النصوص توجب اتباع الرسول ﷺ، وإن لم نجد ما قاله منصوصاً بعينه في الكتاب، كما أن تلك الآيات توجب اتباع الكتاب، وإن لم نجد ما في الكتاب منصوصا بعينه في حديث عن الرسول ﷺ غير الكتاب فعلينا أن نتبع الكتاب، وعلينا أن نتبع الرسول ﷺ، واتباع أحدهما هو

اتباع الآخر؛ فإن الرسول ﷺ بلغ الكتاب، والكتاب أمر بطاعة الرسول ﷺ، ولا يختلف الكتاب والرسول ﷺ البتة، كما لا يخالف الكتاب بعضه بعضا "[1].

وهكذا فإن جهل أتباع النبي ﷺ بهذه النصوص وغفلتهم عنها – مع كثرتها – يكون سبباً في الجهل بحقوقه ﷺ.

وأما الأحاديث فكثيرة عن النبي ﷺ في وجوب اتباع الكتاب، وفى وجوب اتباع سنته كقوله ﷺ: " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه "[2].

وعن جابر عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: " وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله "[3]، وفي المستدرك: " كتاب الله وسنتي "[4]، وعن عبد الله بن أبي أوفى أنه قيل له: هل أوصى رسول الله ؟ قال: لا. قيل: فكيف كُتب على الناس الوصية ؟ قال: أوصى بكتاب الله "[5].

---

(1) مجموع الفتاوى: (47/19).

(2) المسند: (124/4)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عروف الجرشي فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة، وينظر: مسند الشاميين: (137/2)،.

(3) صحيح مسلم: (886/2)، باب حجة النبي ﷺ، الحديث رقم: (1218).

(4) المستدرك على الصحيحين: (172/1)، صحيح الجامع الصغير وزيادته: (566/2)، الحديث رقم: (2937)، قال الألباني: صحيح.

(5) صحيح البخاري: (1006/3)، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: (وصية الرجل مكتوبة عنده)، الحديث رقم: (2589)، صحيح مسلم: (1256/3)، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، الحديث رقم: (1634).

فهذه النصوص الكريمة من السنة المباركة: " تفسر القرآن، كما فسرت أعداد الصلوات، وقدر القراءة فيها والجهر والمخافتة، وكما فسرت فرائض الزكاة ونصبها، وكما فسرت المناسك وقدر الطواف بالبيت والسعي ورمي الجمار ونحو ذلك.

وهذه السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها، وقد يكون من سنته ما يظن أنه مخالف لظاهر القرآن، وزيادة عليه؛ كالسنة المفسرة لنصاب السرقة، والموجبة لرجم الزاني المحصن. فهذه السنة أيضا مما يجب اتباعه عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر طوائف المسلمين "[1].

وللتغلب على الجهل بهذه النصوص يجب على المساجد والجامعات والمدارس ودور القرآن والمؤسسات والصحف والقنوات وكافة وسائل التعليم والإعلام أن يقوموا بدورهم في تجليتها وشرحها والعمل على تثقيف الأمة الإسلامية بها.

ثانيا: الجهل بدلالات هذه النصوص:

إن النصوص التي أوجبت اتباع النبي ﷺ فيها ألفاظ ذات دلالات لغوية واضحة في أن المراد الاتباع الكامل، والتسليم المطلق، والإذعان الكلي، وعدم تقديم الرأي أو الهوى على سنته.

ومن هذه الألفاظ: (الطاعة، والاتباع، والتسليم، والأسوة)، وسأحاول بيان دلالاتها من خلال قواميس اللغة العربية والمعاجم، على النحو الآتي:

أ. **الطاعة**: وطاعته ﷺ تعني: الانقياد لسنته ولكل ما جاء به من عند الله تعالى في القول والعمل والسلوك.

والطاعة الانقياد، يقال: أَطَاعَهُ إِطَاعَة، أي: انقاد له ... وطَاوَعَتْهُ كذلك، وانطاع له: انقاد، ولا تكون الطاعة إلا عن أمر، كما أن الجواب لا يكون إلا عن قول، يقال: أمره فَأَطَاعَ، وإذا مضى لأمره فقد أَطَاعَهُ إِطَاعَةً، وإذا وافقه فقد طَاوَعَهُ[2].

---

(1) مجموع الفتاوى: (86/19).

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: (380/2) بتصرف.

وفي المعجم الوسيط: "الطاعة: الانقياد والموافقة، وقيل: لا تكون إلا عن أمر"[1].

وقال الكفوي: "والطاعة هي الموافقة للأمر أعم من العبادة؛ لأن العبادة غلب استعمالها في تعظيم الله غاية، التعظيم والطاعة تستعمل لموافقة أمر الله وأمر غيره..، والطاعة فعل المأمورات ولو ندبا، وترك المنهيات ولو كراهة، فقضاء الدين والإنفاق على الزوجة والمحارم ونحو ذلك طاعة الله وليس بعبادة"[2].

ب. **الاتباع**: واتباعه ﷺ يعني: السير وفق ما جاء به من عند الله تعالى والعمل بذلك عن رضا واقتناع.

قال ابن فارس: (تبع) التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيءٌ، وهو التُّلُوُّ والقَفْو. يقال تبِعْتُ فلاناً: إذا تَلَوْتَه واتّبعْتَه. وأتْبَعْتُهُ: إذا لحِقْتَه، والأصل واحد[3].

وقال ابن منظور: تَبِعَ الشيءَ تَبَعاً وتَباعاً في الأَفعال، وتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعاً: سِرْت في إِثْرِه، واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتتَبَّعه: قَفاه وتَطلَّبه مُتَّبعاً له[4].

في المعجم الوسيط: اتبع الشيء: سار وراءه وتطلبه، ويقال: اتبع الإمام، أي: حذا حذوه، واتبع القرآن والحديث: عَمِلَ بما فيهما، واتبع فلانا بالدَّين ونحوه: طالبه به[5].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: (اتَّبع فلانًا)، وله معنيان:

أحدهما: "سار وراءه ولاحَقَهُ وطارَدَهُ: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان/23].

---

(1) المعجم الوسيط: (570/2).

(2) كتاب الكليات: (920).

(3) معجم مقاييس اللغة: (362/1)

(4) لسان العرب: (8/ 27).

(5) المعجم الوسيط: (81/1) بتصرف وزيادة لتستقيم العبارة.

وثانيهما: حذا حَذْوه واقتدى به واتَّبع القرآنَ والسنة: عمل بما فيهما: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[الأعراف/158] "[1].

ج. **التسليم**: والتسليم للنبي ﷺ يعني الرضا والانقياد لأمره، وترك الاعتراض على ذلك ظاهرا أو باطنا.

وفي مختار الصحاح: " والتَّسْلِيمُ بذل الرضا بالحكم "[2].

وفي شمس العلوم: " قال الله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[النساء/65] أي: يرضوا بقضائك "[3].

وفي التعريفات: " التسليم هو الانقياد لأمر الله تعالى، وترك الاعتراض فيما لا يلائم، واستقبال القضاء بالرضا، وقيل: التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغير في الظاهر والباطن "[4].

د. **الأسوة**: هي اتخاذ النبي ﷺ مثلا أعلى وقدوة في أفعاله وأحواله ولزوم سنته، عملا بقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[الأحزاب/21].

وفي المغرب في ترتيب المعرب: " الأسْوَة اسمٌ من أئتْسَى به، إذا اقتدى به وأتَّبعه، ويقال: آسيتُهُ بمالي، أي: جعلتُه أُسوَةً أقتدي به، ويَقتدي هُوَ بي "[5].

---

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة: (281/1)، بتصرف وزيادة.

(2) مختار الصحاح: (326).

(3) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: (3183/5)

(4) التعريفات: (80).

(5) المغرب في ترتيب المعرب: (39/1).

وقال أبو منصور الأزهري: " وهو أسوتك، أي: أنت مَثَلُهُ وهو مَثَلُكَ، ويقال: ائتس به، أي: اقتد به، وكن مثله "[1].

وقال ابن فارس: " لي في فُلانٍ إسْوَةٌ، أي: قَدوة، أي: إنّي أقتدي به "[2].

من خلال هذه النقول من قواميس اللغة يتبين جلياً أن الله تعالى أمر بالاتباع والطاعة والانقياد والتسليم والإذعان والاقتداء والامتثال والتسليم والرضا والموافقة لكل ما جاء به النبي ﷺ.

وفي المقابل لا يجوز الاعتراض عليه، ولا تقديم غيره عليه.

فعندما تعلم دلالات هذه الألفاظ التي وردت في النصوص الآمرة بالاتباع ينتفي الجهل بحقوقه عليه الصلاة والسلام وتحصل الهداية بإذن الله تعالى.

ثالثا: الجهل بمنزلة النصوص الموجبة للاتباع في الدين:

ومن الأسباب كذلك الجهل بمنزلة القرآن والسنة الموجبين لاتباع النبي ﷺ عند بعض المنتسبين للإسلام، فعندما لا يقدِّر الإنسان القرآن الكريم والسنة النبوية حق قدرهما لا يعتني بتعاليمهما، ومن ثم يجهل بعض أبناء المسلمين اليوم حقوق المصطفى ﷺ.

ولما كانت النصوص التي توجب اتباع النبي ﷺ وطاعته وامتثال أمره وبيان حقوقه على أمته قد وردت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية نفسها لذلك سأقوم ببيان منزلة القرآن الكريم وفضله ومنزلة السنة النبوية بما يتناسب مع البحث.

فأما القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت/51]، وأما السنة فقد قال رسول الله ﷺ: " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو،

(1) تهذيب اللغة: (4/ 345)، بترقيم الشاملة.

(2) معجم مقاييس اللغة: (105/1).

ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر"[1].

فيجب على المسلمين أن يقدروا القرآن الكريم، وأن يعظموه، ويعلموا ما فيه، ويعملوا به، وتكمن أهمية القرآن الكبرى فيما اشتمل عليه من هداية إلى العقائد الصحيحة، والعبادات الحقة، والأخلاق الكريمة، والتشريعات العادلة، وما اشتمل عليه من تعاليم بناء المجتمع الفاضل، وتنظيم الدولة القوية.

وإنّ المسلمين لو جدّدوا إيمانهم بأهمية هذا الكتاب الكريم، وكانوا جادّين في الالتزام والطاعة لما فيه من أوامر وتوجيهات إلهية حكيمة، فإنهم يجدون ما يحتاجون إليه من حياة روحية طاهرة، وقوة سياسية وحربية، وثروة وحضارة، ونعم لا تعدّ ولا تحصى؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[الأعراف/96].

وإذا أراد المسلمون الخير والصلاح والعزّة لأنفسهم وأمتهم، فعليهم اتباع هدي نبيّهم ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم في حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه؛ لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها "[2].

ورحم الله تعالى الشاطبي حيث قال: " إن الكتاب - أي القرآن - قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرًا

(1) صحيح البخاري: (2070/5)، الحديث رقم: (5111)، باب ذكر الطعام، واللفظ له، صحيح مسلم: (194/2)، باب فضيلة حافظ القرآن، الحديث رقم: (797).

(2) الواضح في علوم القرآن (28).

وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول، فإن كان قادرًا على ذلك، ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين آخذ بيده في هذا المقصد الشريف، والمرتبة المنيفة "[1].

ويكفي في بيان منزلة القرآن قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة/15، 16].

وأما السنة النبوية فـ" إن من المتفق عليه بين المسلمين الأولين كافة، أن السنة النبوية هي المرجع الثاني والأخير في الشرع الإسلامي، في كل نواحي الحياة من أمور غيبية اعتقاديه أو أحكام عملية، أو سياسية، أو تربوية، وأنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس، كما قال الإمام الشافعي في آخر (الرسالة): (لا يحل القياس والخبر موجود)[2]، ومثله ما اشتهر عند المتأخرين من علماء الأصول: (إذا ورد الأثر بطل النظر)، (لا اجتهاد في مورد النص)، ومستندهم في ذلك الكتاب الكريم، والسنة المطهرة "[3].

فقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدل دلالة قاطعة على وجوب اتباع السنة اتباعا مطلقاً في كل ما جاء به النبي ﷺ، وأن من لم يرض بالتحاكم إليها والخضوع لها فليس مؤمناً.

(1) الموافقات في أصول الشريعة: (144/4).
(2) الرسالة: (599).
(3) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام: (25).

والسنة شارحة ومفسرة للقرآن الكريم ومخصصة لعمومه ومقيدة لمطلقه، وموضحة لما قد يستشكل منه، ومن ثم فلا يمكن أن يستغنى بالقرآن الكريم عنها، قال تعالى: ﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل/44].

"والذي يجب على كل مسلم اعتقاده أنه ليس في سنن رسول الله ﷺ الصحيحة سنة واحدة تخالف كتاب الله بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل:

المنزلة الأولى: سنة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل.

المنزلة الثانية: سنة تفسر الكتاب، وتبين مراد الله منه، وتقيد مطلقه.

المنزلة الثالثة: سنة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب فتبينه بيانا مبتدأ.

ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة، وليس للسنة مع كتاب الله منزلة رابعة. وقد أنكر الإمام أحمد على من قال: (السنة تقضي على الكتاب)، فقال: بل السنة تفسر الكتاب وتبينه، والذي يشهد الله ورسوله به أنه لم تأت سنة صحيحة واحدة عن رسول الله ﷺ تناقض كتاب الله وتخالفه البتة.

كيف ورسول الله ﷺ هو المبين لكتاب الله وعليه أنزل، وبه هداه الله، وهو مأمور باتباعه، وهو أعلم الخلق بتأويل مراده، ولو ساغ رد سنن رسول الله ﷺ لما فهمه الرجل من ظاهر الكتاب، ولردت بذلك أكثر السنن، وبطلت بالكلية "[1].

فلولا السنة لما فهمنا معنى الظلم الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام/82]، حيث بيَّنت السنة أنه الشرك.

ولولاها كذلك لما عرفنا حكم قصر الصلاة في السفر عند الأمن؛ لأن القرآن بين حكمه عند الخوف.

(1) الطرق الحكمية: (107).

ولولا الحديث أيضا لحرمنا طيبات أحلت لنا: الجراد والسمك والكبد والطحال.

ولولا الأحاديث التي ذكرنا بعضها لاستحللنا ما حرم الله علينا مما ورد عن نبيه ﷺ من السباع وذوي المخلب من الطير.

ولولا الأحاديث التي فيه لاستحللنا ما حرم الله مما ورد عن نبيه ﷺ من الذهب والحرير "[1].

رابعا: ضعف الإيمان:

ما من شك أن ضعف الإيمان له آثار كبيرة على المرء، فهو يؤدي إلى الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات، والشعور بقسوة القلب وخشونته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد/١٦].

كما يؤدي إلى التكاسل عن الطاعات والعبادات، وعدم التأثر بآيات القرآن لا بوعده ولا بوعيده ولا بأمره ولا نهيه، والغفلة عن الله عز وجل في ذكره ودعائه، وكذلك الابتعاد عن العلم الشرعي والبحث عن القدوة الصالحة المتمثلة في شخص الرسول الكريم ﷺ، والتخلق بأخلاقه، والبحث عن خصائصه لاتخاذها منهج حياة في القول والعمل، ومن هنا ينشأ الغلو وتكثر البدع بسبب الجهل بحقوق المصطفى ﷺ.

إن ضعف الإيمان يؤدي للانشغال بالدنيا الفانية وإيثارها على الآخرة الباقية، ويؤدي لعدم المبالاة بقضايا الإيمان والتدين الحق، فكم تطالعنا اليوم وسائل الإعلام الأجنبية من مقالات أو رسوم مسيئة للرسول ﷺ، فلم يحرك المسلمون ولا حكوماتهم لذلك ساكنا إلا من رحم ربي.

(1) منزلة السنة في الإسلام: (12) بتصرف.

خامسا: الجهل بمكانة الرسول ﷺ عند الله تعالى، وبين أنبياء الله:

اختص الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم السلام بخصائص كثيرة تشريفاً له وتكريماً مما يدل على جليل رتبته وشرف منزلته عند ربه؛ فمن الخصائص التي اختص الله بها نبيه ﷺ:

- **أخذ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام**: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران/81، 82].

قال السعدي: " يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد.

فعلى هذا قد علم أن محمدا ﷺ هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم ﷺ لما قررهم تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ﴾ أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين ﴿قَالَ﴾ الله لهم: ﴿فَٱشْهَدُواْ﴾ على أنفسكم، وعلى أممكم بذلك، قال: ﴿فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ "[1].

- **عموم رسالته لكافة الثقلين الجن والأنس**: فلا يسع أحد منهم إلا اتباعه، والإيمان برسالته، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان/1].
- **أنه الرحمة المهداة**: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء/107]، قال ابن القيم: " أصح القولين في هذه الآية أنها على عمومها، وفيها على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته؛ أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.

وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عجّل قتلهم وموتهم خير لهم لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها.

وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

(1) تيسير الكريم الرحمن: (136، 137).

الوجه الثاني :أنه رحمة لكل أحد ، لكن المؤمنين قبلوا هذا الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها فلم يخرج بذلك أن يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض "[1].

- **أنه ﷺ أكثر الأنبياء أتباعا**: قال ﷺ: " أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا "[2].
- **أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة**: قال رسول الله ﷺ: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع "[3].
- **أن الله جعل لواء الحمد بيد النبي ﷺ يوم القيامة**: وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة، ويكون الناس تبعاً له وتحت رايته، واختص به؛ لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره، قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما مِن نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر"[4].
- **أنه ﷺ أول من يُجيز الصراط وأول من يقرع باب الجنة**: قال ﷺ: "ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يُجيز"[5].

---

(1) جلاء الأفهام: (181).

(2) صحيح مسلم: (188/1)، باب في قول النبي ﷺ: (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا)، الحديث رقم: (196).

(3) صحيح مسلم: (1782/4)، باب باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، الحديث رقم: (2278).

(4) سنن الترمذي: (587/5)، قال الألباني: صحيح، وينظر: المسند: (295/1).

(5) صحيح البخاري: (2704/6)، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة)[القيامة/22، 23]، الحديث رقم: (7000)، صحيح مسلم: (163/1)، باب معرفة طريق الرؤية، الحديث رقم: (182).

إذا عُلم أن للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام أعلى منازل الفضل عند ربهم، كان ذلك مدعاة لمزيد من الإيمان بهذا الركن العظيم، فهم عليهم السلام أفضل الخلق أجمعين، وكل واحد منهم أفضل من كل فرد، أو وليٍّ من غيرهم؛ بل هم على الصحيح أفضل حتى من الملائكة الكرام عليهم السلام.

وكما أنهم في العموم مفضلون على غيرهم من الخلائق، فإن بينهم تفاوتاً في المنازل: فالرسل أعظم من الأنبياء منزلة، وأولوا العزم أفضل مكانة بين الرسل، ومحمد ﷺ أفضل الجميع؛ للكمال البشري المطلق في شخصه، والكمال المطلق أيضاً في رسالته الخاتمة العامة.

ولما كان الأمر كذلك كانت معرفة مكانة النبي والرسول الخاتم من أعظم وسائل تنمية الإيمان بالمرسلين عموماً؛ إذ هو رمزهم، والممثل عنهم من جهة، ومن جهة أخرى أفضلهم عند الله مكانة وأرفعهم قدراً؛ إذ يمثل بشخصه أكمل صورة يمكن أن يصل إليها بشر، ويمثل برسالته أعظم، وأكمل شرائع السماء.

وقد أخبر الباري ﷻ أن بعثته من أعظم المنن على عباده المؤمنين، وخصَّه بحادثة الإسراء إلى بيت المقدس، وحادثة المعراج إلى السماء يقظة بروحه وجسده، وجعل رسالته للعالمين، وجعلها ملزمة للإنس والجن، وأغلق ﷻ كل طريق إليه دون طريق محمد ﷺ وأوجب على المؤمنين الصلاة والسلام عليه، دون سائر المرسلين، واعتبر تارك الصلاة عليه مذموماً، فهذه الفضائل وغيرها كثير: تزيد اليقين بالمرسلين، وبخاتمهم عليه الصلاة والسلام، وتبعث في النفس مزيداً من المحبة والإجلال والإعظام للمرسلين عموماً ولسيدهم محمد ﷺ خصوصاً.

المطلب الثاني: مظاهر الجهل بحقوق الرسول ﷺ:

إن الجهل ينتج عنه مساوئ كثيرة، والجاهل بحقوق النبي ﷺ إما أن يغالي فيه وإما أن يجفوه ويهجر سنته، وكله ليس من منهج أمة الوسط التي خاطبها الله بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة/143]، وهذا ما سأذكره هنا.

أولاً: الجفاء والهجر:

إن الجاهل بحقوق الرسول ﷺ يتصف بالجفاء له والهجر لسنته، وهي نتيجة طبيعية للجهل، فالإنسان عدو ما يجهل. فيجفو النبي ﷺ ولا يعطيه حقه، ويهجر سنته، ولا يهتم بأوامره، ولا يعمل بتعاليمه وتوجيهاته، ولا يعظمه ويوقره كما أراد الله، ولا يدافع عنه وعن سنته، ولا يعطيه حقوقه التي أمر الله بها والتي ستأتي لاحقاً في هذا البحث إن شاء الله. فهذا كله من مظاهر الجفاء والهجر وعدم التأدب مع رسول الله ﷺ.

ثانياً: الغلو في حقه ﷺ:

انحرف بعض الناس عن هدي النبي ﷺ وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه، وغيروا وبدلوا، وغلوا في محبتهم للرسول ﷺ غلواً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم الذي قال عز وجل فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام/153].

وقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على حماية جناب التوحيد، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والانحراف في حقه، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله "[1].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[2].

(1) صحيح البخاري: (1271/3)، باب: (واذكر في الكتاب مريم)، الحديث رقم: (3261).

(2) صحيح البخاري: (1615/4)، باب مرض النبي ﷺ، الحديث رقم: (4179)، صحيح مسلم: (377/1)، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، الحديث رقم: (531).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: " ما شاء الله وشئت، فقال له النبي ﷺ: " جعلتني لله عدلاً، بل قل: ما شاء الله وحده "[1].

- **والغلو قسمان:**

الأول: الغلو في القول؛ ومنه المديح، حيث يغالي البعض في مدح النبي ﷺ؛ كادعاء بعضهم أنه ﷺ يعرف الغيب، أو أنه يحضر بعض مجالسهم ومحافلهم، أو أنه يقدر على دفع الضر أو جلب النفع لهم وهو ميت في قبره، وغيرها مما لم يثبت له ولا عنه ﷺ، كما حصل من البوصيري صاحب البردة حينما قال:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

إن لم تكن في قيامي آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من فضلك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وليس للمسلم أن يلوذ إلا بالله تعالى، ولا يحتمي إلا بجنابه الكريم سبحانه، فهذه مبالغة وغلو من البوصيري على الرغم من جمال بردته، وجزالة ألفاظها، وحسن سبكها، ووقعها في النفوس.

ولقد رفض ﷺ كل صور الثناء والمبالغة في المدح، الذي يجاوز الحقيقة، فقال محذراً وناهياً: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابنَ مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله"[2]، أي: "لا تصفوني بما ليس لي من الصفات تلتمسون بذلك مدحي، كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه، فنسبوه إلى أنه ابن الله، فكفروا بذلك وضلوا"[3].

"هذا القول وهذا النهي منه ﷺ ضربوا به عرض الحائط، فغلوا فيه ﷺ غلواً عظيماً، وما أكثر ما نسبوا إليه من خصائص الألوهية، فجاروا بذلك.

---

(1) المسند: (183/1).

(2) الحديث المتقدم.

(3) الدين المعاملة: (101).

وقد اتفق أن كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابنُ النبي ﷺ، فقال بعض الصحابة: إنها كسفت لموت إبراهيم، وهو ربط غير صحيح ينطوي على الإطراء والمبالغة، فقام النبي ﷺ فخطب الناس ونبههم على خطأِ ربطهم، فقال: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة "[1].

"وأتاه وفد بني عامر بن صعصعة، فوقفوا أمامه، وقال قائلهم يخاطب المصطفى ﷺ، ويبالغ في ذلك، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلا قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله. والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز و جل"[2].

وجاء رجل فقال للرسول ﷺ: "ما شاء الله وشئت، فغضب ﷺ، وقال: أجعلتني لله نداً ؟! قل: ما شاء الله وحده"[3].

فهكذا كان يؤدب ﷺ أمته سيما ضعفاء الإيمان أو حدثاء الإسلام، مخافة أن يقعوا في الغلو الذي يحبط الأعمال، فنحن نعتقد أن محمدا ﷺ هو النور والسراج المنير، وهو أفضل الرسل، وخاتم الأنبياء، وسيد الخلق، فعلى المسلمين معرفة قدر رسولهم، وماله من الخصائص والمزايا لكن دون غلو أو إفراط في المديح.

والثاني: الغلو في الفعل، كالاحتفال بالمولد النبوي، لقد اتخذ أصحاب الطرق الصوفية من المولد ستارا لترويج باطلهم ونشر بدعتهم عند الجهلة من عوام الناس.

---

(1) صحيح البخاري: (354/1)، باب الصدقة في الكسوف، الحديث رقم: (997)، صحيح مسلم: (618/2)، باب صلاة الكسوف، الحديث رقم: (901).

(2) المسند: (153/3)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم, رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(3) الأدب المفرد: (274)، قال الألباني: صحيح.

الذين يقيمون احتفالات المولد يقيمونها باسم محبة الرسول، وبذكر شيء من سيرته يفتتحونها، ولكن سرعان ما يظهر الباطل وتنجلي الغشاوة فيرى صاحب البصيرة ألوانًا وأشكالاً من الغلو والبدع المنكرة.

ويجتمع في المولد غلو في القول وغلو في الفعل يظهر من خلال ما يتلفظ به من أقوال، وما ينشد فيه من أشعار، وما يقام من حركات وأفعال.

فمن البدع والمنكرات التي تقام في هذه الموالد – وما أكثرها – ما يحصل من الغلو في حق النبي ﷺ وذلك من خلال القصائد التي يطلقون عليها اسم المدائح النبوية، والتي لا تخلو من ألفاظ الغلو في شخص الرسول ﷺ والتجاوز عما حدده الشارع مما لا يليق بمقامه الكريم من الإجلال والتقدير.

فالمتأمل لتلك القصائد يجدها مرصوفة بعبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة، وجعل النبي ﷺ هو المتصرف في هذا الكون وجعله أول الموجودات والقطب الذي تدور عليه الأفلاك، وجعله الغاية التي من أجلها خلق الكون[1].

وقد ذكر العلماء أن أول من ابتدع الاحتفال بالمولد هم العبيديون، الفاطميون، وهم من يهود الفرس[2]، أرادوا تدمير الإسلام وهدم الدين، وتعاونوا مع الصليبيين الذين جاءوا لاحتلال بلاد الإسلام، وسيرتهم معروفه، وما قاله فيهم علماء الإسلام الثقات معروف ومذكور، فكانوا زنادقة ملاحدة، قال ابن تيمية: " ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض "[3].

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: " ومحمد ﷺ ليس قصة تتلى في يوم ميلاده كما يفعل الناس الآن، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تضم إلى ألفاظ الأذان، ولا إكنان حبه يكون بتأليف مدائح له أو صياغة نعوت مستغربة يتلوها

---

(1) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: (2/ 773) بتصرف.

(2) تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي: (51).

(3) مجموع الفتاوى: (237/13).

العاشقون، ويتأوهون أو لا يتأوهون! فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الروابط الملفقة المكذوبة على الدين.

وما جنح المسلمون إلى هذه التعابير - في الإبانة عن تعلقهم بنبيهم - إلا يوم أن تركوا اللباب المليء وأعياهم حمله، فاكتفوا بالمظاهر والأشكال. ولما كانت هذه المظاهر والأشكال محدودة في الإسلام، فقد افتنوا في اختلاق صور أخرى ! ولا عليهم! فهي لن تكلفهم جهدا ينكصون عنه.

إن الجهد الذي يتطلب العزمات هو في الاستمساك باللباب المهجور، والعودة إلى جوهر الدين ذاته. فبدلا من الاستماع إلى قصة المولد يتلوها صوت رخيم، ينهض المرء إلى تقويم نفسه وإصلاح شأنه حتى يكون قريبا من سنن محمد ﷺ في معاشه ومعاده، وحربه وسلمه، وعلمه وعمله، وعاداته وعباداته.

إن المسلم الذي لا يعيش الرسول في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يغنى عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة. وأريد هنا أن أنبه إلى ضرورة الفصل بين الجد والهزل في حياتنا. ولا بأس أن نجعل للهو واللعب وقتا لا يعدوه، وللجد والإنتاج وقتا لا يقصر عنه... أما تحويل الإسلام نفسه إلى غناء، فيصبح القرآن ألحانا عذبة، وتصبح السيرة قصائد وتواشيح، فهذا ما لا مساغ له وما لا يقبله إلا الصغار الغافلون. وقد تم هذا التحويل على حساب الإسلام، فانسحب الدين من ميدان السلوك والتوجيه إلى ميدان اللهو واللعب. وحق فيمن فعلوا ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾[الأنعام/70]، وتحول القرآن إلى تلاوة منغومة فحسب"[1].

فهذا كله من الغلو الذي نشأ نتيجةً عن الجهل بحقوقه ﷺ، والجهل بسنته، نسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

(1) فقه السيرة: (7، 8).

المبحث الثاني

أهداف ومظاهر كيد الأعداء لحقوقه ﷺ

المطلب الأول: أهداف الكيد:

إن سعي أعداء الإسلام للنيل من النبي ﷺ وتشويه دعوته وسيرته قديم بقدم دعوته، فهم يكيدون ويمكرون بالإسلام وأهله الليل والنهار، وتتنوع أساليبهم في ذلك، ولكن كيدهم ضعيف، ومكرهم إلى تباب، وصدق الله القائل: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال/30]، وقوله: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[النساء/76]، وقال: ﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر/25]. ولهذا الكيد جملة من الأهداف والغايات، أهمها من وجهة نظرنا:

أولاً: محاربة الإسلام بغية القضاء عليه:

يهدف أعداء الإسلام من وراء النيل من النبي ﷺ إلى محاربة الإسلام والقضاء عليه، فالطعن فيه طعن في الإسلام؛ لأنه هو الذي جاء به من ربه تبارك وتعالى وبلغه للعالمين. وقد أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول الذي سمعوا بالإسلام، وبنبي الإسلام محمد ﷺ وسبوه وشتموه وعاندوه: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ ﴾[آل عمران/١١٨].

وغرضهم من عنادهم ومجادلتهم وتشويشهم تدمير الحق والقضاء عليه، كما قال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾[الكهف/٥٦].

ولقد ناصب اليهود العداء للدعوة منذ ظهور تباشير الفجر المحمدي الذي حمل النور للبشرية، وقد كان اليهود يظنون أن النبي الخاتم سيظهر فيهم، لذلك كانوا كثيراً ما يستفتحون على الأوس والخرزج متوعدين بظهور نبي جديد يتبعونه فيقتلونهم

معه قتل عاد وارم[1].. ولكن عندما ظهر هذا النبي في أرض الجزيرة على خلاف ما يشتهون بدؤوا يناصبونه العداء.

ثانيا: القضاء على عناصر القوة:

إن الثوابت الإسلامية عناصر قوة للأمة الإسلامية، والنبي ﷺ عنصر قوة للأمة، ومراد الأعداء تشويه هذا الرمز والطعن فيه للقضاء على عناصر القوة فيها.

وليس جديداً؛ ففي السابق خطط الأعداء لاغتيال النبي ﷺ، فقد ذهب النبي ﷺ إلى يهود بني النضير ليستعينهم في دية تحملها عن بعض أصحابه، فاستقبله الخبيث حيي بن أخطب الثعبان، وقال: نعم، لقد آن الأوان لنعطيك ما تريد منا يا محمد، اجلس هنا! وأجلس رسول الله إلى جوار حائط لبيت يهودي خبيث منهم، ثم خلا بإخوانه من اليهود، وقال: هيا اصعدوا إلى سطح هذه الدار وحطموا رأس محمد بهذه الحجرة العظيمة لنستريح من شره أبداً، وصعد المتآمرون إلى سطح الدار، وحملوا حجرة عظيمة ليسقطوها على رأس المصطفى، ولكن هيهات هيهات! فإن الله لا يغفل ولا ينام، أطلع الله نبيه على هذه المؤامرة، فقام النبي ﷺ مسرعاً وامتن الله بهذا على نبيه والمؤمنين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة/11]، فلما علم الصحابة بهذه المؤامرة، خرجوا مع النبي ﷺ فحاصروا يهود بني النضير، وأجلاهم ﷺ عن المدينة المنورة[2].

فاليهود يحقدون على رسول الله ﷺ، وعلى الأمة، وعلى الإسلام منذ أول لحظة بعث فيها النبي ﷺ من العرب من غير جنس اليهود.

---

(1) الخصائص الكبرى: (40).

(2) السنن الكبرى: (200/9)، للبيهقي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: (250/2).

وهكذا حاولوا القضاء عليه حياً، ولكن الله حماه، وحفظه من كيدهم: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة/67].

ثالثاً: التعصب لدينهم والاغترار بما عندهم:

فالأعداء يغترون بما عندهم ويتعصبون لأديانهم المحرفة: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾[البقرة/113].

قال ابن كثير: " يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها "[1].

ولقد بلغ بهم تعصبهم أن ادعوا أنهم أبناء الله فحكى الله عنهم ذلك بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[المائدة/18].

واليوم نسمع عن اليهود قولهم: نحن شعب الله المختار، وهذه الأمة العربية في نظرهم أمة محتقرة، وهم الذين قالوا في القديم: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران/75] أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم، لأنهم بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار، ورأوا أنفسهم في غاية العظمة، وهم الأذلاء الأحقرون، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا بين أكل الحرام واعتقاد حله وكان هذا كذباً على الله "[2].

(1) تفسير القرآن العظيم: (384/1).

(2) تيسير الكريم الرحمن: (135).

وهكذا فإن تعصبهم هذا واغترارهم بما عندهم يجعلهم يتركون الحق ويكيدون للإسلام.

المطلب الثاني: مظاهر كيد الأعداء:

إن مظاهر كيد الأعداء بالنسبة لكيدهم للنبوة والرسالة تتمثل في الآتي:

- **أولاً: الطعن في شخص النبي ﷺ:**

أراد الأعداء محاربة الإسلام بالنيل من النبي المعصوم ﷺ، ومن جنابه الشريف، وتعرض الطاعنون لأخلاقه وسلوكه ولدعوته، فأتوا إلى هذا المعصوم الذي صفاه الله واصطفاه، وزكى الله سمعه وبصره، وقلبه ومنهجه، ودعوته وأخلاقه؛ فاتهموا سيرته ﷺ، وطعنوا في شخصه.

وقد كانت أساليب الأعداء واحدة، ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات/53]، والقرآن يقص علينا إفكهم وافتراءهم على نبيه وهم يشاهدون معجزاته، ويسمعون القرآن يتنزل. فقالوا: شاعر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾[الطور/30]، ورد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة/41]، وقالوا عنه مجنون: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات/36]، ورد الله عليهم بقوله: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[الطور/29]، وقالوا عنه ساحر وكذاب: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[ص/4]، فأخبر الله أنه دأب من قبلهم الذين أهلكهم، ولم يعد لهم أثر: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[الذاريات/52].

واليوم يشوه هذا النبي العظيم من قبل أعداء الله تعالى، ونراهم يتفننون في الأساليب الماكرة، فمن المسلسلات المشوهة الكاذبة إلى الرسوم المسيئة التي أظهرت حقداً دفيناً، وعرتهم على حقائقهم، فلا مبادئ ولا مقدسات، ولا احترام للثوابت، ولا مصداقية.

- **ثانياً: الطعن في أهل بيته ﷺ:**

إن من مظاهر كيد الأعداء والمنافقين: طعنهم في أهل بيت الرسول ولقد حاول المنافقون الطعن في عرض النبي ﷺ بالافتراء على عائشة رضي الله عنها بما يعرف بحديث الإفك؛ فقد حاك المنافقون حادثة الإفك، بعد أن فشل كيدهم في إثارة النعرات الجاهلية، فألمت بالبيت النبوي هذه النازلة الشديدة، والمحنة العظيمة التي كان القصد منها النيل من النبي ﷺ ومن أهل بيته الأطهار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جَزْعِ ظَفَارٍ قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلهن اللحم، إنما نأكل العُلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السنة فبعثوا الجمل، وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأقمت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول"[1].

(1) صحيح البخاري: (576/6)، صحيح مسلم: (2129/4).

لما حصلت هذه الحادثة استغلها المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، ولم يكن يقصد الطعن في عائشة رضي الله عنها، وإنما كان يقصد الطعن في ذات النبي ﷺ في المقام الأول، وها هي رايات المنافقين تخفق في عصرنا، فهذه الكتب التي تطبع وتباع، فيها من الطعن في ديننا ورسولنا وقرآننا الكثير، وما هي إلا امتداد لتلك الرايات القديمة.

فالواجب على أمة الإسلام أن تدافع عن الرموز والأصول؛ وذلك بإيجاد الكوادر العلمية القادرة على مجابهة الأعداء، والمحافظة على رموزنا وأصولنا ومبادئنا وثوابتنا.

- **ثالثاً: الطعن في سنته ﷺ:**

فالأعداء والمنافقون يطعنون في السنة النبوية بوسائل متعددة من أشهرها التشكيك في صحة جملة من الأحاديث النبوية، لاسيما تلك التي يبني عليها المسلمون مرتكزاتهم الدينية، وثوابتهم الشرعية، فيصفونها بعدم الثبوت تارةً، أو أنها مكذوبة تارةً أخرى، أو يشككون في ثقة رواتها وحسن مقاصدهم، مع أن للأحاديث جهابذة وصيارفة على مدى التاريخ، يبينون صحيحها من سقيمها.

ومن الوسائل كذلك الترويض والتشئة على استسهال نقد نصوص السنة دون مسوغات شرعية، والجرأة على مواجهتها بأنها تخالف العقول مما سبب قلة الاكتراث بها وذوبان هيبتها في نفوس الناس على وجه التلقي والقابلية، حتى يكون أسهل شيء لدى البعض أن ينتقد حديثاً صحيحاً؛ إما بتكذيبه، أو بدعوى مخالفته للعقل، فيتلاعب جمهور الدهماء بذلك، وينتهكون حرمة النص النبوي، ويسيئون الظن به.

وظهر كذلك القرآنيون الذين يؤمنون في زعمهم بالقرآن وينكرون السنة، والخوارج هم أول من بدأ بالتشكيك في السنة، فلم يأخذون من السنة إلا بما وافق ظاهر القرآن، أو ما كان أصله في القرآن، ثم جاء من بعدهم العقلانيون الذين يمثلون هذا التيار في العصر الحاضر.

المبحث الثالث:

حقوق النبي ﷺ علينا

أوجب الله لنبيه ﷺ على هذه الأمة جملة من الحقوق، ومما يؤسف له أن كثيرا من المسلمين اليوم هم على درجة كبيرة من الجهل بهذه الحقوق فتراهم لذلك على طرفي نقيض في هذا المقام؛ فإما مقصر في القيام بهذه الحقوق التي أوجبها الله على الأمة فتراه لا يقيم لها وزنا ولا يلقي لها بالاً.

وإما غال مبتدع منكب على ما ابتدعه، يظن أنه بما يفعله من أمور مبتدعة في هذا المقام قد أحسن صنعا وأنه مؤد لما أوجبه الله من حق لنبينا محمد ﷺ، وكلا الطرفين صاحب حال مذموم غير محمود.

فلما كان عامة أصحاب هذين الطرفين إنما أوقعهم فيما هم فيه جهلهم بمعرفة تلك الحقوق على الوجه المطلوب شرعا أردت هنا أن أبين بعض هذه الحقوق، وهي:

أولاً: الإيمان به ﷺ، وتصديقه فيما أتى به:

قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[التغابن/8]،

وقال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف/158]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[الحديد/28]، وقال: ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[الفتح/13].

وقَال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله"[1].

---

(1) صحيح البخاري: (17/1)، باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)[التوبة/5]، الحديث رقم: (25)، صحيح مسلم: (52/1)، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله ..)، الحديث رقم: (21).

والإيمان به ﷺ هو: تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان، ثم تطبيق ذلك العمل بما جاء به؛ تمَّ الإيمان به ﷺ.

ويجب كذلك تصديقه فيما أخبر، "ومن معنى شهادة أن محمداً رسول الله: تصديقه فيما أخبر. فمن لم يصدِّق ما أخبر به وإنما يُخضعه لهواه، ويُخضعه لقواعده المنطقية أو العقلية أو للعلم الحديث كما يسمُّونه؛ فهذا كأنه لم يؤمن أنه رسول الله ﷺ"(1).

ومعنى شهادة (أن محمدًا رسول الله): تصديقه ﷺ في ما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ثانياً: طاعته وتوقيره ونصرته والدفاع عنه:

أوجب الله طاعة نبيه ﷺ، وقد ذكرنا كثيراً من نصوص القرآن التي توجب طاعته في المبحث الأول، ومن النصوص أيضاً:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران/32]، فالتولي عن طاعة الرسول كفر بنص الآية.

وقوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[النساء/80]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء/59]، فأوجب طاعته ورد المتنازع فيه إلى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

(1) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: (110/2)

وقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[النور/56]، وقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [المائدة/92].

ويجب كذلك توقيره وتعظيم أمره ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[الفتح/8، 9].

وتوقيره ﷺ: يكون بإجلاله وإكرامه وأن يعامل بالتشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: " وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه"[1].

" وخير تعظيم لرسول الله ﷺ تعظيم سنته وهديه ﷺ، وتعظيم أمره ونهيه وعدم تقديم رأي أحد مهما كان على رأيه، لا كما يفعل كثير من الناس اليوم فتقول لهم: قال الرسول .. فيقولون لك: إن الشيخ الفلاني يقول كذا أو الأستاذ فلان يقول كذا أو أخبار اليوم تقول كذا.

وقد أنكر ابن عباس على قوم يقول لهم: قال الله، وقال الرسول، فيقولون: قال أبو بكر وعمر، وحذرهم من أن يحل عليهم عذاب من الله "[2].

(1) صحيح مسلم: (112/1)، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(2) موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ: (3/4).

وكذلك نصرته والدفاع عنه استجابةً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[الصف/14].

ولا نتقاعس عن الدفاع عنه وعن سنته ورد كيد الأعداء الماكرين فنستبدل بغيرنا، وهي سنة الله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾[محمد/38]، وقوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾[فاطر/43].

ثالثاً: محبته واتباعه والاقتداء به:

أوجب الله تعالى لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقاً زائدةً على مجرد التصديق بنبوته، كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه.

فمن تلك الحقوق حقه ﷺ بأن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دلت على ذلك الأدلة من القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَالٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة/24]

فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف في ذلك بين الأمة.

قال القاضي عياض: "كفى بهذه الآية حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على لزوم محبته، ووجوب فرضها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده

أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"[1].

والمتأمل كذلك لهذه الآية يجد أن الأمر فيها لم يقتصر على وجود أصل المحبة لله ورسوله، بل لابد مع ذلك أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وهذه المحبة لله تقتضي تحقيق العبودية له لأن العبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمره ومحبته ورضاه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[الذاريات/٥٦]، وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخالي عن الذل، والذل الخالي عن الحب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله، وهي وإن كانت منفعتها للعبد والله غني عنها فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها "[2].

ومحبة الرسول ﷺ تقتضي تحقيق المتابعة له، وموافقته في حب المحبوبات وبغض المكروهات، ومحبته ﷺ متفرعة عن محبة الله تعالى وتابعة لها. فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه شيئا يخالف ذلك، بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة "[3].

---

(1) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: (301/1).

(2) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: (302/1).

(3) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة: (302/1).

رابعاً: وجوب التحاكم إليه ﷺ، والرضا بحكمه:

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء/65]، " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا؛ ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث: "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"[(1)].

" يخبر تعالى خبرا في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له، وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسلُ إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع.

وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقا "[(2)].

قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أي: ضيقا وشكا ... وقال الضحاك: أي: إثما بإنكارهم ما قضيت، ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ أي: ينقادوا لأمرك في القضاء، وقال الزجاج (تسليما) مصدر مؤكد، فإذا قلت: ضربت

(1) تفسير القرآن العظيم: (2/ 349)، والحديث تقدم تخريجه. وينظر: جامع العلوم والحكم: (386/1).

(2) تيسير الكريم الرحمن: (184)

ضربا فكأنك قلت لا أشك فيه، كذلك: (ويسلموا تسليما) أي: ويسلموا لحكمك تسليما لا يدخلون على أنفسهم شكا"[1].

"وليس هناك مجال للوهم أو الإيهام بأن تحكيم رسول الله ﷺ هو تحكيم شخصه، إنما هو تحكيم شريعته ومنهجه؛ وإلا لم يبق لشريعة الله وسنة رسوله مكان بعد وفاته ﷺ، وذلك قول أشد المرتدين ارتداداً على عهد أبي بكر رضي الله عنه، وهو الذي قاتلهم عليه قتال المرتدين بل قاتلهم على ما هو دونه بكثير، وهو مجرد عدم الطاعة لله ورسوله، في حكم الزكاة، وعدم قبول حكم رسول الله فيها بعد الوفاة!

وإذا كان يكفي لإثبات الإسلام أن يتحاكم الناس إلى شريعة الله وحكم رسوله...، فإنه لا يكفي في الإيمان هذا، ما لم يصحبه الرضا النفسي، والقبول القلبي، وإسلام القلب والجنان، في اطمئنان!

وهذا هو الإيمان...، فلتنظر نفس أين هي من الإسلام؛ وأين هي من الإيمان! قبل ادعاء الإسلام وادعاء الإيمان! "[2].

خامساً: الصلاة عليه ﷺ:

أوجب الله تعالى الصلاة على نبيه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب/56]، وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم الرسول ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها.

قال ابن كثير: " والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي

(1) الجامع لأحكام القرآن: (255/5).

(2) في ظلال القرآن: (170/2)، بترقيم الشاملة.

عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا"[1].

"وهذا فيه تنبيه على كمال رسول اللّه ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند اللّه وعند خلقه، ورفع ذكره. و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ ﴾ عليه، أي: يثني اللّه عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ اقتداء باللّه وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم "[2].

ففي هذه الآية أن اللّه يصلي على نبيه بالرحمة والرضوان، والملائكة تدعو له بالمغفرة ورفعة الشأن، لذا فأنتم أيها المؤمنون باللّه ورسوله قولوا: اللهم صلّ وسلّم على محمد، أي: ادعوا له بالرحمة، ومزيد الشرف والدرجة العليا.

ويلاحظ الاهتمام بالحكم من طريق مجيء الخبر مؤكداً بـ"إنّ"، والإتيان بالجملة الإسمية لإفادة الدوام، وأن مجيء الجملة اسمية في صدرها: (إِنَّ اللَّهَ)، فعلية في عجزها: (يُصَلُّونَ) للدلالة على أن الثناء من اللّه على رسوله ﷺ يتجدد على الدوام.

وهذه الآية بمثابة العلة لما ذكر قبلها من أن شأن المؤمنين ألا يؤذوا رسول اللّه ﷺ، فكأنه قيل: ما كان لكم أن تؤذوه لأن اللّه يصلي عليه والملائكة، وما دام الأمر كذلك، فهو لا يستحق إلا الاحترام والإكرام.

وقد بدئت الآية بالجملة الاسمية لإفادة الدوام، وانتهت بالجملة الفعلية للإشارة إلى أن هذا الإكرام والتمجيد يتجدد مع مرور الزمان على الدوام.

(1) تفسير القرآن العظيم: (457/6).

(2) تيسير الكريم الرحمن: (671).

وجعل الله لمن يصلي على النبي ﷺ الأجر العظيم لما لها من فضل؛ قال ابن القيم: " إن طلب الصلاة من الله على رسوله ﷺ هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا "[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة "[2].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قلت: الربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير. قلت: النصف؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير. قلت: الثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك، قلتُ: أَجْعَلُ لك صلاتي كُلَّها ؟ قال: " إذن تُكفَى هَمَّك، ويُغْفَرُ لك ذَنبُكَ "[3].

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: خرج رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته - نخلا - فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا، فأطال السجود حتى ظننت أن الله عز وجل قد قبض نفسه فيها، فدنوت منه، فجلست فرفع رأسه، فقال: " من هذا ؟. " قلت: عبد الرحمن، قال: " ما شأنك؟ " قلت يا رسول الله: سجدت سجدة خشيت أن يكون الله عز وجل قد قبض نفسك فيها، فقال: " إن جبريل عليه السلام أتاني فبشرني،

(1) صحيح مسلم: (1/2)، باب: الصلاة على النبي بعد التشهد، الحديث رقم: (408).
(2) صحيح مسلم: (4/2)، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، الحديث رقم: (384).
(3) جامع الأصول في أحاديث الرسول: (6/11).

فقال: إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله عز وجل شكرا "[1].

وفي حديث: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: "عجلت أيها المصلي"، ثم علمهم رسول الله ﷺ، وسمع رسول الله ﷺ رجلا يصلي فمجَّد الله وحمده، وصلى على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: " ادع تجب، وسل تعط"[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة "[3].

فالمتأمل في هذه الأحاديث يعرف عظم فضل الصلاة على النبي ﷺ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله عدداً من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ منها ما يلي:

" الأولى: امتثال أمر الله تعالى.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

الخامسة: أنه يرفع عشر درجات.

السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يمحى عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين.

---

(1) المسند: (201/3).

(2) سنن النسائي: (380/1)، باب التحميد والصلاة على النبي ﷺ.

(3) المسند: (235/5).

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

الثالثة عشرة: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ، وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك، فقلب المؤمن توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محو ولا إزالة ودوام الذكر سبب لدوام المحبة، فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك، لا حياة له إلا به.

الرابعة عشرة: أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبة الله للعبد، فإنها إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلى عليه ﷺ.

الخامسة عشرة: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره، استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولاشك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرةً وقوةً ومعرفةً ازدادت صلاته عليه ﷺ.

ولهذا كانت صلاة أهل العلم العارفين بسنته وهديه المتبعين له عليه خلاف صلاة بعض العوام عليه الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم.

وأما أتباعه العارفون بسنته العالمون بما جاء به فصلاتهم عليه نوع آخر، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفةً ازدادوا له محبةً ومعرفةً بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله تعالى.

وهكذا ذكر الله سبحانه، كلما كان العبد به أعرف وله أطوع وإليه أجل كان ذكره غير ذكر الغافلين واللاهين، وهذا أمر إنما يعلم بالخبر لا بالحبر، وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبه جميع قلبه ويثني عليه بها ويمجده بها، وبين من يذكرها إما إمارةً وإما لفظاً، لا يدري ما معناه، ولا يطابق فيه قلبه لسانه، كما أنه فرق بين بكاء النائحة وبكاء الثكلى. فذكره وذكر ما جاء به، وحمد الله تعالى على إنعامه علينا ومنته بإرساله هو حياة الوجود وروحه.

السادسة عشرة: أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه ﷺ، وذكره عنده، كما في قوله ﷺ: "إن صلاتكم معروضة علي "[1].

وفي المقابل وردت أحاديث تذم تارك الصلاة عليه ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك أبويه عند الكبر فلم يدخلاه الجنة "[2]، وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: " البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي "[3].

(1) جلاء الأفهام: (90)، والحديث في المسند: (8/4).

(2) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (189/3)، باب الأدعية، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(3) جلاء الأفهام: (90).

الخاتمة

في نهاية هذا البحث نخرج بخلاصة تجمع أطراف الموضوع وتلخص أهم نتائج البحث:

1 - في حياتنا المعاصرة نلاحظ ظاهرة الجهل بحقوق النبي ﷺ لانصراف بعض المسلمين عن دراستها من مصادرها، مما يحتم على وسائل الإعلام الإسلامية المختلفة الاهتمام بذلك وتربية الناس عليها.

2 - من أسباب الجهل: الجهل بالنصوص المنبهة على حقوقه ﷺ، أو بمنزلتها في الإسلام، أو بدلالات ألفاظها.

3 - من يجهل تلك الحقوق واقع بين أحد أمرين: إما الجفاء في حقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهجر أمره وسنته، أو الغلو في حقه بما لم ينزل به الله سلطاناً، وكلا الأمرين مذموم غير موافق للشرع الحنيف.

4 - الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجهود أهل الباطل متكررة في القديم والحديث للنيل من النبي ﷺ في حياته وبعد مماته ﷺ.

5 - الأعداء يكيدون للنبي ﷺ ولسنته، ويحاربون الإسلام؛ بغية القضاء عليه، والقضاء على عناصر قوة المسلمين، وتعصباً لدينهم، واغتراراً بما عندهم من الباطل.

6 - الأعداء في القديم والحديث يكيدون على النبي الرحمة بالطعن في شخصه، وفي أهل بيته، وفي سنته.

7 - حقوق النبي ﷺ على أمته كثيرة، من أهمها: الإيمان به، وتصديقه، وطاعته، وتوقيره، ونصرته، والدفاع عنه، ومحبته، واتباعه، والاقتداء به، والتحاكم إليه، والرضا بحكمه، والصلاة عليه ﷺ.

فهرس المصادر والمراجع

1 -الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1409هـ – 1989م.

2 -إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1423هـ – 2002م.

3 -بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز آبادى، المكتبة العلمية، بيروت.

4 -تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي، حسن السندوبي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1948م.

5 -التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ.

6 -تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ– 1999م.

7 -التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ.

8 -تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، المصدر: موقع الوراق http://www.alwarraq.com .

9 -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ – 2000م.

10 - جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

11 - جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408ه.

12 - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ– 1964م.

13 - جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط،

دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ – 1987م.

14 - الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 2005م.

15 - حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ– 1997م.

16 - الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ - 1985م.

17 - الدين المعاملة، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، سلسة دعوة الحق، السنة: 24، العدد 237، 1430 هـ – 2009 م.

18 - الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

19 - السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

20 - سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

21 - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ – 1994م.

22 - سنن النسائي (المجتبى من السنن)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ – 1986م.

23 - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد محمد الصلابي، المصدر: موقع المؤلف على الإنترنت http://www.slaaby.com.

24 - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

25 - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، بتحقيق: د. حسين العمري – مطهر بن علي الإرياني – د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة الأولى، 1420هـ – 1999م.

26 - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ترتيب: محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ – 1993م.

27 - صحيح البخاري، المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

28 - صحيح الجامع الصغير وزيادته للسيوطي، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

29 - صحيح مسلم، المسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

30 - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة

31 - فقه السيرة، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

32 - في ظلال القرآن، لسيد قطب، المصدر: موقع التفاسير http://www.altafsir.com.

33 - كتاب الكليات، أبو البقاء الكفوى، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ – 1998م.

34 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى

35 - مجموع الفتاوى، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر جرار، أنور الباز، الطبعة الثالثة، 2005م.

36 - مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة 1415هـ – 1995م.

37 - المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، أحمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية.

38 - مسند الشاميين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

39 - المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1420هـ، 1999م.

40 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

41 - معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ – 2008م.

42 - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الدعوة.

43 - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

44 - المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى، 1979م.

45 - منزلة السنة في الإسلام، إعداد موقع روح الإسلام، www.islamspirit.com.

46 - الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ– 1997م.

47 - موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جمعها: علي بن نايف الشحود.

48 - الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ – 1998م.